الأب جورج فلورفسكي

الكتاب المقدّس والكنيسة والتقليد

وجهة نظر أرثوذكسيّة

نقله إلى العربيّة
الأب ميشال نجم

منشورات النور
١٩٨٤

هذا الكتاب هو الجزء الأول من مجموعة أعمال
الأب جورج فلورفسكي.

صدر بالإنكليزية تحت عنوان

Bible Church and tradition

An Eastern Orthodox view

ونشر في

Nordland Publishing company

Belmont, Massachusetts, USA

الفهرست

ترجمة موجزة لحياة المؤلف	٧
الفصل الأول : الفكر الكتابي المفقود	٩
الإنسان المعاصر والكتاب المقدَّس	١٠
بشروا بدساتير الإيمان	١١
التقليد حيّ	١٢
ماذا عنى مجمع خلكيدونية ؟	١٣
مأساة تحت ضوء جديد	١٤
نسطورية جديدة	١٥
مونوفيزيتية جديدة	١٥
الأزمة المعاصرة	١٧
صلة الآباء الوثيقة بعصرنا	١٧
الفصل الثاني : الإعلان والتفسير	١٩
رسالة وشهادة	١٩
تاريخ ومنهج	٣١
الفصل الثالث: جامعيَّة الكنيسة	٤٥
الإتحاد الإلهي ـ الإنساني والكنيسة	٤٥
الميزة الداخلية في الجامعيَّة	٤٨
تغيير وجه الشخصية	٥١
المقدَّس والتاريخي	٥٥
نقائص القانون الفيكندياني	٦٢
حرّية وسلطة	٦٦
الحواشي	٦٨
الفصل الرابع : الكنيسة : طبيعتها ومهمتها	٧١
الفكر الجامع	٧١

الحقيقة الجديدة ٧٢
الخليقة الجديدة ٨٦
تناقضات تاريخية ٨٧
الحواشي ٩٠

الفصل الخامس : مهمة التقليد في الكنيسة القديمة ٩٣

القديس فكنديوس والتقليد ٩٣
المسألة التفسيرية في الكنيسة القديمة ٩٥
القديس ايريناوس وقانون الحقيقة ٩٧
القديس أثناسيوس وغاية الإيمان ١٠٢
هدف التفسير وقانون العبادة ١٠٦
القديس باسيليوس والتقليد غير المدوَّن ١٠٨
الكنيسة مفسرة للكتاب ١١٣
أوغسطين والسلطان الجامع ١١٦
الحواشي ١١٨

الفصل السادس : سلطان المجامع القديمة وتقليد الآباء ١٢٣

المجامع في الكنيسة الأولى ١٢٣
المجمع الامبراطوري أو المسكوني ١٢٥
المسيح : مقياس للحقّ ١٢٨
معنى الاحتكام إلى الآباء ١٣٢
الحواشي ١٣٦

الفصل السابع : القديس غريغوريوس بالاماس وتقليد الآباء ١٣٩

اتِّباع الآباء ١٣٩
فكر الآباء ١٤١
الطابع الوجودي في اللاهوت الآبائي ١٤٢
معنى عصر الآباء ١٤٤
تراث اللاهوت البيزنطي ١٤٧
القديس غريغوريوس بالاماس والتألّه ١٤٩
الحواشي ١٥٧

ترجمة موجزة لحياة المؤلف

وُلد الأب جورج فلورفسكي في أوديسّا سنة ١٨٩٣ ، وعمل استاذاً مساعداً في جامعتها سنة ١٩١٩ . وبعد أن ترك روسيا علَّم الفلسفة في براغ من سنة ١٩٢٢ حتى سنة ١٩٢٦ . ثمَّ دُعي لتولِّي كرسي « البترولوجيا » (الآبائيات) في معهد القديس سرجيوس اللاهوتي في باريس . في سنة ١٩٤٨ سافر إلى الولايات المتحدة ، حيث أصبح أُستاذاً في معهد القديس فلاديمير اللاهوتي ثمَّ عميداً له حتى سنة ١٩٥٥ . وكان في الوقت نفسه أُستاذاً في جامعة كولومبيا ومعهد الاتحاد اللاهوتي . وبين عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٤ شغل كرسي تاريخ الكنيسة الشرقية في جامعة هارفرد . ومن سنة ١٩٦٤ بدأ يعلِّم الدراسات السلافية والتاريخ السلافي في جامعة برنستون .

كان أُستاذاً فخرياً في تاريخ الكنيسة الشرقية في جامعة هارفرد ، وحاز درجاتٍ علمية فخرية متعدِّدة ، وكان عضواً في الأكاديمية الأميركية للفنون والعلوم .

رقد الأب فلورفسكي بالرب عام ١٩٧٩ عن ستة وثمانين عاماً .

الفصل الأول

الفكر الكتابي المفقود (*)

« موافقاً للحقيقة التي في يسوع »
(افسس ٤ : ٢١)

يُفترض بكهنة المسيح ألّا يبشّروا ، من منبر الوعظ على الأقل ، بأفكارهم الخاصة لأن الأيدي تُوضع عليهم في الكنيسة للتبشير بكلمة الله . فيُسلَّم إليهم إنجيل يسوع المسيح وتُودع عندهم الرسالة الخالدة والفريدة . لذلك يُنتظر منهم نشر « الإيمان الذي أُعطي للقديسين » وحفظه . لكنَّ التبشير بكلمة الله يجب أن يكون « فعّالاً » وأن يحمل القناعة والولاء لكلِّ جيل ولكلِّ جماعة . ولذلك قد تُصاغ كلمة الله من جديد ، إذا ما تطلَّبت الظروف ذلك . ولكن يجب المحافظة ، قبل كلِّ شيء ، على هويَّة هذه الرسالة .

على المرء أن يتحقَّق أنه يبشِّر بالإنجيل نفسه الذي سلِّم إليه وأنه لا يأتي « بإنجيل غريب » من عنده ، لأنه لا يقدر أن يكيِّف كلمة الله بسهولة ، وفق عادات عصر سريعة الزوال ووفق مواقف عصر معيَّن ، بما في ذلك عادات عصرنا ومواقفه . فكثيراً ما ننزع ، مع الأسف ، إلى قياس كلمة الله بمقياس منزلتنا وقامتنا ، بدل أن نفحص أفكارنا ونقيسها بمنزلة المسيح الرفيعة ، إذ إن « الفكر الحديث » نفسه خاضع لحكم كلمة الله .

(*) كُتب هذا المقال عام ١٩٥١ .

الإنسان المعاصر والكتاب المقدس

إنّ المصاعب الكبيرة تنشأ من ذات هذه النقطة . فأكثرنا فَقَدَ استقامة الفكر الكتابي ، رغم محافظته على بعض أساليبه . إن الإنسان المعاصر يتذمَّر كثيراً ، لأنَّ الحقيقة الإلهية تُقدَّم له في مصطلح « قديم » - أي في لغة الكتاب المقدس - لم يعد يستخدمه بشكل عفوي . ولذلك اقترح بعضهم مؤخراً أن « ينزع العنصر الأسطوري » (demythologize) عن الكتاب وأن تُبدَّل أساليبه القديمة بأخرى حديثة . لكن السؤال الذي لا نقدر أن نهرب منه هو : هل لغة الكتاب المقدس غلاف خارجي عَرَضي تستخرج منه « أفكار أبدية » ، أم أنها عربة أبدية للرسالة الإلهية التي أُعلنت مرّة وإلى الأبد ؟

إننا سنقع في خطر خسارة فرادة كلمة الله أثناء عملية « إعادة التفسير » المستمرة . ومهما كانت الطريقة ، فكيف نقدر أن نفسِّر الكتاب المقدَّس ما دمنا قد نسينا لغته الأصلية ؟ أولاَ تنبعث فينا ثقة أكبر ، إذا ما وجَّهنا تفكيرنا إلى البنى الفكرية الموجودة فيه ، وتعلَّمنا لغته من جديد ؟ إن الإنسان لا يقدر أن يتلقَّى الإنجيل ما لم يتب ، ما لم « يغيِّر ذهنه » ، لأن التوبة (metanoia) في لغة الكتاب لا تعني الإقرار بالخطايا والندم عليها فقط ، بل تعني « تغيير الذهن » ، أي تغييراً عميقاً لفكر الإنسان وموقفه العاطفي وتجديد ذاته الذي يبدأ بنكران الذات ويتحقَّق بختم الروح القدس .

إننا نعيش اليوم في عصر من الفوضى الفكرية والتفسّخ . ولعلَّ موقف الإنسان المعاصر غير محدَّد بعد ، لأن تعدُّد أفكاره تبعد عنه

كل أمل في التوفيق بينها . ولذلك قد يكون « الإيمان الذي سُلِّم إلى القديسين » الـمَعْلَم الأوحد الذي يمكنه أن يرشدنا وسط الضباب الفكري في عصرنا اليائس ، على الرغم من أن هذا الإيمان سيظهر لنا مُماتاً ومهجوراً مثل لغة الكنيسة الأولى ، إذا ما حكمنا عليها بمقاييسنا الزائلة .

بشِّروا بدساتير الإيمان

بِمَ سنبشّر ؟ وبِمَ سأعلِّم أبناء عصري « في عصر كهذا » ؟ لا مجال للتردد : إني سأبشِّر بيسوع المسيح مصلوباً وقائماً من بين الأموات وسأعلِّم الذين دعاني الله أن أنقل لهم رسالة الخلاص كما وصلتني عبر التقليد غير المنقطع في الكنيسة الجامعة . لن أحصر نفسي في تعاليم عصري ، أي أنني سأعلِّمهم « عقائد دستور الإيمان » .

أَعْلَم عِلْم اليقين أن دساتير الإيمان عقبة أمام الكثيرين في جيلنا الحاضر ، « لأن الدساتير رموز تُحترم قدر احترام الأعلام البالية على حوائط الكنائس المحلِّية ولأنها مفيدة لنضال الكنيسة اليوم في آسيا وأفريقيا وأوروبا وأميركا بمقدار ما يكون الفأس أو « القرابينة » مفيدين في يدي جندي حديث » . هذا ما كتبه منذ سنوات باحث بريطاني شهير وقسيس ورع . وقد لا يكتب اليوم هذه الكلمات ، لكننا نجد من يتبنَّى من أعماق القلب تصريحاً كهذا لأنه يجب علينا ألاَّ ننسى أن دساتير الإيمان الأولى تستخدم أسلوب الكتاب المقدس مما يجعلها صعبة على الإنسان المعاصر .

ما زلنا إذاً نواجه في أيامنا المشكلة نفسها : ماذا نقدر أن نقدِّم

بدل الكتاب المقدَّس ؟ أنا أفضِّل لغة التقليد ، لا « لمحافظةٍ » كسولة أو ساذجة ولا « لطاعةٍ » عمياء « لسلطان خارجي » ، بل لأنني لا أقدر أن أجد طريقة أفضل للتعبير . إنني مستعد أن أعرِّض نفسي لتهمة لا مفرَّ منها وهي أنني متعلق «بكلِّ قديم» ومؤمن « بالعصمة الحرفية » (fundamentalist) ، لكنني سأجيب عن هذه التهمة وأقول إنها خاطئة ولا مبرِّر لها ، لأنني أحافظ على « عقائد الإيمان » وأتمسَّك بها بكلِّ ضمير حي ومن كل قلبي ، وأدرك عن طريق الإيمان أنها تلائم دائماً كل الأمكنة والعصور ، بما في ذلك « عصر كهذا » ، وأؤمن بأنها قادرة على إعادة جيل يائس كجيلنا إلى الشجاعة والرؤية المسيحيتين .

التقليد حيّ

« ما الكنيسة متحفاً للودائع الميتة أو جمعية للبحث العلمي» ، لأن ودائعها حيَّة (depositum juvenescens) على حدِّ تعبير القديس إيريناوس . فإيمانها ليس من بقايا الماضي ، بل هو « سيف الروح » . وما يجب أن نبشِّر به اليوم هو إعادة العالم إلى المسيحية . فهو المخرج الأوحد من هذا الطريق المسدود الذي سيق إليه العالم من جرَّاء إخفاق المسيحيين في أن يكونوا مسيحيين حقيقيين .

إن العقيدة المسيحية لا تعطي جواباً مباشراً على أيِّ سؤال عملي في حقل السياسة أو الإقتصاد ، تماماً كما يفعل إنجيل المسيح . غير أن تأثيرها في مجرى التاريخ الإنساني كان عظيماً . فإن الإعتراف بكرامة

الإنسان وقيمته وبالرحمة والعدالة تنبع كلُّها من الإنجيل . حتى إننا لا نقدر أن نبني العالم الجديد إلاَّ ببناء الإنسان الجديد .

ماذا عنى مجمع خلكيدونية ؟

ما هو المدلول الحقيقي لعبارة « وصار بشراً » ؟ وبكلام آخر ، **من كان** يسوع ، المسيح والرب ؟ وماذا عنى مجمع خلكيدونية عندما قال إن المسيح «إنسان تام» «وإله تام» ، لكنه «أقنوم واحد»؟ ينزع «الإنسان المعاصر» إلى إنتقاد هذا التحديد الذي أورده مجمع خلكيدونية ، لأنه يخفق في أن يحمل له أي معنى . فما هذه « اللغة الإيمانية » إلاَّ قطعة أدبية عنده ، ولعلَّها لا تعني له شيئاً . إنني أعتقد بأن كلَّ هذا الموقف خاطىء ، لأن « تحديد » هذا المجمع ليس تحديداً ما ورائياً . ولم يُعتبر هكذا قط ، لأن سرَّ التجسد ليس « معجزة ميتافيزيقية » . إن تحديد مجمع خلكيدونية تحديد إيماني ، ولذلك لن يُفهم إذا ما اقتُطع من خبرة الكنيسة . فهو « تحديد وجودي » .

إن صيغة مجمع خلكيدونية كِفاف عقلي للسرّ الذي يُدرَك عن طريق الإيمان . فمخلِّصنا ليس إنساناً فقط ، بل الإله نفسه . هنا يقع التشديد الوجودي لصيغة هذا المجمع . إن مخلِّصنا الذي « تنازل » ، والذي « صار بشراً » قد وحَّد نفسه مع الناس مشاركاً في الحياة والطبيعة الإنسانيتين . فالمبادرة لم تكن إلهية فقط ، بل أن زعيم الخلاص كان شخصاً إلهياً . وكمال طبيعة المسيح الإنسانية يشير إلى حقيقة هذا الإتحاد الخلاصي واستقامته ، أي إن الله دخل

التاريخ البشري وصار شخصاً تاريخياً .

هذا الأمر يبدو غريباً ومحاطاً بسرٍّ . «ولا شك أن سرَّ الألوهة عظيم ، لأن الله ظهر بالجسد » . لكنَّ هذا السرَّ إعلان إلهي ، لأن سرّ شخص الله أُعلن في التجسد . فاهتمَّ الله بمصير الإنسان إهتماماً صمياً (وخاصة مصير كلٍّ من « هؤلاء الصغار ») ، حتى إنه دخل بشخصه فوضى الحياة الضائعة وبؤسها . وما العناية الإلهية مجرَّد هيمنة قوية على الكون تصدر عن بعد ، بل إفراغ الله لمجده « وتجرّد عن ذاته » . فهناك علاقة **شخصية** بين الله والإنسان .

مأساة تحت ضوء جديد

تظهر المأساة الإنسانية كلّها تحت ضوء جديد ، لأن سرّ التجسد كان سرّ المحبة الإلهية ، سرّ الاندماج الإلهي في الإنسان الضال . قمة هذا التجسد هو الصليب الذي كان نقطة تحوّل في مصير الإنسان . والسرّ الرهيب لهذا الصليب لا يُفهم إلاَّ من منظور خريستولوجي واسع ، أي إذا آمنّا بأنّ المصلوب كان حقاً « ابن الله الحي » . وموت المسيح كان دخول الإله **شخصياً** بؤس الموت الإنساني وشقاءَه وكان نزولاً إلى الجحيم . وهذا يعني نهاية الموت وتدشين حياة الإنسان الأبدية .

مذهلٌ الترابط الذي نجده في جسم العقيدة التقليدي والذي لن ندركه إلاَّ بالإيمان الحي وبالمشاركة الشخصية مع الإله الشخصي . فالإيمان وحده يجعل الصيغ الإيمانية مقنعة ويعطيها الحياة . « يبدو هذا الأمر غريباً ، لكنَّ خبرة متتبعي الأمور الروحية تقول إن

الإنسان لا يكتسب فائدة من الأناجيل ما لم يكن أولاً في حب مع المسيح » ، لأن المسيح ليس نصـاً ، بل شخص حيّ يقيم في جسده ، أي في الكنيسة .

نسطورية جديدة

قد يبدو اقتراح التبشير بعقيدة خلكيدونية في « عصر كهذا » سخيفاً . لكنني أؤمن بأن الحقيقة التي تشهد لها هذه العقيدة بنفسها قادرة على أن تغيِّر نظرة الإنسان المعاصر الروحية ، لأنها تعطيه حريَّة حقيقية . فالإنسان ليس وحيداً في هذا العالم ، لأن الله يهتم بأحداث التاريخ البشري : هذا ما ينطوي عليه الفهم الكامل لسرّ التجسد. وهذا ما يبطل الزعم بأن المجادلات الخريستولوجية لا تمتُّ بصلة إلى الأوضاع الحاضرة . والحق ، أنها تتردَّد وتتكرَّر في خلافات عصرنا . فالإنسان المعاصر مجرَّب بوعي وبغير وعي في الوصول إلى التطرف النسطوري ، أي في عدم إلتزام التجسد بجدٍّ واهتمام . فهو لا يجرؤ على الإيمان بأن المسيح شخص إلهي ، ولذلك يطلب مخلِّصاً إنسانياً يتلقى العون من الله . إنه يصرف إهتمامه إلى السيكولوجية الإنسانية عند المخلِّص ، ولا يبالي بسرّ المحبة الإلهية ، لأنه في التحليل الأخير يؤمن بكل تفاؤل بمنزلة الإنسان الرفيعة .

مونوفيزية جديدة

في النقيض الثاني هناك اليوم إحياء للميول « المونوفيزية » في اللاهوت والدين ، وذلك عندما يُعتبر الإنسان كائناً سلبياً ، أي

عندما يُسمح له أن يسمع ويصغي ويأمل فقط . فالتوتر القائم اليوم بين « التحررية » (Liberalism) والأرثوذكسية الجديدة (Neo-orthodoxy) هو تكرار للصراع الخريستولوجي القديم على صعيد وجودي جديد وبطريقة روحية جديدة . وهذا الصراع لن يُحسم في الحقل اللاهوتي إلاّ باكتساب رؤية أوسع .

كانت بشارة الكنيسة الأولى لاهوتية ، ولم تكن تأملاً فكرياً عقيماً . فالعهد الجديد كتاب لاهوتي . ولذلك كان إهمال اللاهوت في التربية المعطاة للعلمانيين في أيامنا هذه مسؤولاً عن فقدان الوعي الديني عندهم وعن الإحساس بالخيبة التي تسود المزاج المعاصر . ما نحتاج إليه في المسيحية « في عصركهذا » هو اللاهوت الوجودي السليم ، لأن الإكليروس والشعب يتعطشان إلى اللاهوت . فالناس يلجأون إلى تبني « إيديولوجيات غريبة » ويدمجونها بمعتقدات إيمانية تقليدية ، لأننا لا نبشّر عادة باللاهوت الصحيح . واللجوء إلى « أناجيل منافسة » في أيامنا يعود إلى كونها تقدّم لاهوتاً كاذباً ومنهجاً عقائدياً منحولاً . ومع ذلك يتقبلها بسرور أولئك الذين لا يجدون أي لاهوت في المسيحية المخفّضة و« المنقوصة » ذات الأسلوب « الحديث » . قال لاهوتي إنكليزي عن الخيار الوجودي الذي يواجهه الكثيرون في أيامنا إنه خيار بين « العقيدة والموت » . وبما أن الزمن اللاعقيدي وعصر الفلسفة الذرائعية قد ولّيا فيجب على الكهنة أن يبشّروا من جديد بعقائد الإيمان أي بكلمة الله .

الأزمة المعاصرة

إن المهمة الأولى للمبشِّر في عصرنا هي « إعادة بناء الإيمان » الذي لا يتحقق بمسعى عقلي ، لأن الإيمان مصوَّر جغرافي عن العالم الواقعي يجب ألاَّ نخلطه بالواقع . وبما أن الإنسان المعاصر متعلِّق بأفكاره وقناعاته ووجهات نظره وردَّات فعله فقد عجَّلت الإنسانويّة (humanism) في حدوث الأزمة ، التي يرجع سببها إلى إعادة اكتشاف العالم الواقعي الذي نؤمن به . والوجه الحاسم لهذه الواقعية الروحية الجديدة هو اكتشاف الكنيسة من جديد ، حيث لا تُحجب الحقيقة وراء حائط أفكارنا ، بل تكون سهلة المنال . وهكذا يدرك الإنسان أن الكنيسة ليست جماعة مؤمنين فحسب ، بل « جسد المسيح » . وهذا اكتشاف لأبعاد جديدة ولحضور دائم للمخلِّص الإلهي وسط قطيع المؤمنين . هذا الإكتشاف يلقي فيضاً من النور على بؤس وجودنا المفكَّك في عالم قد تعلمن « وتَدَنْيا » كلياً . أخذ كثيرون من الناس يوقنون أن الحلّ الحقيقي لكل المشاكل الاجتماعية يكمن في إعادة بناء الكنيسة . لذلك ، يجب علينا أن نبشِّر في « عصر كهذا » « بالمسيح التام » ، « بالمسيح والكنيسة » «totus Christus, caput et corpus» على حد تعبير أوغسطين . قد يكون هذا النوع من التبشير غير مألوف ، لكنني أعتقد بأنه الأسلوب الأوحد للتبشير الفعلي بكلمة الله في عصر من اليأس والتشاؤم كعصرنا الحاضر .

صلة الآباء الوثيقة بعصرنا

يعتريني شعور غريب عندما أقرأ مؤلفات آباء الكنيسة ، إذ

أجدها وثيقة الصلة بمشاكل عصري ، أكثر من مصنفات اللاهوتيين الحديثين ، لأنهم كانوا يتصارعون مع المشاكل الوجودية ومع إعلانات الله الأزلية التي دُوِّنت ووُضعت في الكتاب المقدس . إنني أجازف باقتراح يقول إن القديس أثناسيوس والمغبوط أوغسطين هما عصريان أكثر بكثير من لاهوتيين معاصرين . والسبب بسيط : فهما يتناولان الأمور نفسها ولا يتناولان الخرائط ولا يشدِّدان على معتقدات الإنسان قدر تشديدهما على هبات الله الممنوحة للإنسان . واجبنا في « عصر كهذا » أن نوسِّع منظورنا ونعترف بمعلِّمي الماضي ونحاول أن نجد تأليفاً وجودياً للخبرة المسيحية .

الفصل الثاني

الاعلان والتفسير

« فماذا إن خان بعضهـــم ؟ أتبطل خيانتهم
وفاء الله ؟ » (رو ٣ : ٣)

رسالة وشهادة

ما هو الكتاب المقدس ؟ هل هو كتاب كالكتب الأخرى المعدَّة للقارىء العادي الذي ننتظر منه أن يستوعب معناه مباشرة ؟ إنه بالأحرى كتاب شريف موجَّه إلى المؤمنين أولاً . وممَّا لا شك فيه أن المرء يقدر أن يقرأ أي سفر مقدَّس كما يقرأ « النصوص الأدبية » عادة . لكن هذه القراءة لا علاقة لها بهدفنا المباشر ، فنحن لا نهتم بالحرف بل بالرسالة . هذا ما عبَّر عنه بقوة القديس إيلاريون في قوله : « الكتاب المقدس ليس بقراءته ، بل بفهمه » (Scriptura est non in legendo, sed in intelligendo) . هل نجد في الكتاب المقدَّس ، مأخوذاً كلاًّ ، وكتاباً واحداً ، رسالة معيَّنة ؟ إذا كان الجواب بالإيجاب فإلى من تكن هذه الرسالة موجَّهة بشكل

(*) كُتب هذا المقال عام ١٩٥١ .

خاص ؟ أإلى أشخاص مؤهَّلين لفهم الكتاب وتفسير رسالته ؟ أم إلى الجماعة والأشخاص بصفة كونهم أعضاء في هذه الجماعة ؟

مهما كان أصل النصوص التي يشتمل عليها الكتاب المقدس فمن الواضح أنه في مجمله من خلق الجماعة في التدبير القديم والكنيسة المسيحية على حد سواء . فهو لا يشتمل على كلِّ النصوص التاريخية والتشريعية والتعبّدية الموجودة، بل على نخبة منها. وهذه النخبة أصبحت ذات سلطان من خلال استعمالها ـ وعلى الأخص في الليتورجيا ـ في وسط الجماعة ومن خلال القيمة التي أعطتها لها الكنيسة . لقد كان هناك هدف واضح يحدِّد هذه «النخبة» ويعيِّنها : « وصنع يسوع أمام تلاميذه آيات أخرى غير مدوَّنة في هذا الكتاب . أمَّا الآيات المدوَّنة هنا ، فهي لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله . فإذا آمنتم نلتم باسمه الحياة » (يوحنا ٢٠ : ٣٠ـ ٣١) . ينطبق هذا الهدف على الكتاب كلِّه . فما حصل هو أن بعضاً من الكتابات اختير وجُمع وسُلِّم بعد ذلك إلى المؤمنين ليكون نسخة عن الرسالة الإلهية يجدر اعتمادها . إن الرسالة إلهية وآتية من الله ، بل إنها كلمته ، لكن الجماعة المؤمنة هي التي سلَّمت بصحة الكلمة التي قيلت وهي التي شهدت لحقيقتها . لذلك فإننا نؤكد الصفة المقدسة للكتاب بواسطة الإيمان . ولأن الكتاب أُلِّف ضمن الجماعة بهدف بنيانها ، فلا نقدر أن نفصل الكنيسة عن الكتاب المقدس . فالكتاب والعهد متصلان اتصالاً وثيقاً ، والعهد يفترض وجود شعب ، ولذلك ائتُمن الشعب على كلمة الله (رو ٣ : ٢) في التدبير القديم . أمَّا في التدبير الجديد فائتُمنت كنيسة الكلمة

المتجسد على رسالة الملكوت . فالكتاب هو حقاً كلمة الله ، لكنه يستند إلى شهادة الكنيسة التي وضعت قانون الكتاب وثبتته .

على المرء ألاَّ يغفل الخلفية التبشيرية للعهد الجديد الذي تجسَّدت ودُوِّنت فيه « البشارة الرسولية » بهدفيها : بنيان المؤمنين وهدي العالم . إذن ، العهد الجديد ليس كتاب الجماعة حصراً كما كان العهد القديم. فهو ما زال كتاباً تبشيرياً، لكنَّه يبقى مع ذلك في حمىً عن الغرباء. كان موقف ترتليان من الكتاب المقدس نموذجياً، لأنه لم يكن مستعداً للبحث مع الهراطقة على أسس كتابية في المواضيع الإيمانية التي لم يكونوا على اتفاق فيها . فالكتاب يخصّ الكنيسة ، ولذلك كان إحتكام الهراطقة إليه غير شرعي ، إذ لا حقّ لهم في ملك غريب . هذه الحجَّة الرئيسة نجدها في مبحثه الشهير « معارضة الهراطقة » (De praescriptione haereticorum) حيث يؤكد أن غير المؤمن لا يحقّ له لمس الرسالة ، لأنه لم « يستلمها » . فلا « رسالة » له في الكتاب المقدس .

لم يكن مصادفةً إعتبار منتخبات متعدِّدة ومدوَّنة في أوقات مختلفة وعلى يد مؤلفين عديدين كتاباً واحداً . فلفظة ta biblia بصيغة الجمع ، في حين أن لفظة Bible (**الكتاب**) بصيغة المفرد . وهذا دليل على أن هذه الأسفار تؤلِّف كتاباً مقدَّساً واحداً ، ذا موضوع رئيسي واحد ورسالة واحدة ، بل تؤلِّف رواية العلاقات بين الله وشعبه المختار ، ومدوَّناً يورد أفعال الله وعظائمه (Magnalia Dei) . فالله ابتدأ بالمسيرة ، إذ هناك بداءة ونهاية

تكون الهدف والغاية ، أي هناك نقطة إنطلاق كامنة في كلام الله « في البدء » (تكوين ١ : ١) ونهاية يشير إليها كلام الرؤيا الختامي : « تعال أيها الرب يسوع » (رؤيا ٢٢ : ٢٠). إذن ، هناك قصة كاملة تبتدىء من سفر التكوين وتنتهي بسفر الرؤيا ، وهذه القصة هي تاريخ ، ومسيرة تتحرك بين هاتين النقطتين . ولهذه المسيرة إتجاه معيَّن . وهناك هدف أساسي ورجاء إكتمال سيتحقق في آخر الأزمنة . فهذه القصة ذات مراحل وكلّ مرحلة ترتبط بطرفيْ المسيرة ولها مكانة صحيحة وفريدة في القصة كلِّها . لذلك تُفهم كلّ مرحلة من السياق كلِّه والمنظور كلِّه .

كلَّم الله آباءنا « مرَّات كثيرة وبمختلف الوسائل » (عبر ١ : ١) وكشف عن نفسه خلال العصور باستمرار قائداً شعبه من حقيقة إلى حقيقة . فهناك مراحل في إعلانه واستزادة (per incrementa). وهذا التنوع يجب ألا يُهمل او يُغفل . ولكن يبقى الله في هذا الإعلان المتعدِّد الأنواع هو هو ورسالته السامية هي هي . فتماثل الرسالة هو الذي يعطي الكتابات المختلفة وحدتها الحقيقية ، رغم تنوع أساليبها . لقد أُدرجت في الكتاب روايات مختلفة دون أن تُغيَّر ، حتى أن الكنيسة عارضت كلّ المحاولات لاستبدال الأناجيل الأربعة بإنجيل واحد يؤلِّف بينها ، أي عارضت تحويل «الأناجيل الأربعة» (Tetraevangelion) إلى «الإنجيل الرباعي» (Diatessaron) ، رغم الصعوبات الناجمة عن «الاختلافات بين الإنجيليين» (التي تصارع معها المغبوط أوغسطين) . والسبَب هو أن الأناجيل الأربعة تثبّت وحدة الرسالة تثبيتاً تاماً ، ربما بشكل أكثر تماسكاً من أي جامع يجمعها .

إن الكتاب المقدس سِفر عن الله ، لكّن إله الكتاب ليس مخفيّاً (Deus absconditus) بل معلَن (Deus revelatus) يكشف عن ذاته ويفعل في صميم الحياة الإنسانية. فما الكتاب مجرّد مدوَّن إنساني عن اعمال الله وأفعاله، بل نوع من التدخل الإلهي نفسه. فالكتاب يحمل في طيّاته الرسالة الإلهية. وبما أن أعمال الله تؤلّف رسالة، فإننا لا نحتاج الى تجاوز الزمان أو التاريخ حتى نلاقي الله. فهو يلاقي الإنسان في التاريخ، أي في العنصر الإنساني، في وسط وجود الإنسان اليومي. فالتاريخ ينتسب الى الله، والله يدخل التاريخ الإنساني. إن الكتاب المقدس في جوهره مؤلَّف تاريخي يدوّن أعمال الله، من غير أن يكشف أسراره الأزلية، لأن هذه الأسرار لا تُدرك إلاّ عن طريق التاريخ: «ما من أحد رأى الله. الابن الأوحد الذي في حضن الآب هو الذي أخبر عنه» (يوحنا ١ : ١٨). وأخبرنا عنه بدخوله التاريخ، أي بتجسده المقدّس. ولذلك يجب ألاّ نتخلّص من الإطار التاريخي للإعلان، لأننا لا نحتاج الى تجريد الحقيقة المعلَنة لنا عن الإطار الذي حصلت فيه الإعلانات. فتجريد كهذا يلغي الحقيقة ذاتها التي ليست فكرة بل شخص هو الرب المتجسد.

ما يستوقفنا في الكتاب هو تلك العلاقة الخالصة بين الله والإنسان ، فهي أُلفة العهد، أُلفة اختيار وتبنٍّ . وهي تبلغ أوجها في التجسد عندما « أرسل الله ابنه مولوداً لامرأة ، مولوداً في حكم الشريعة » (غلاطية ٤ : ٤) . في الكتاب لا نرى الله وحده ، إذ نرى الإنسان أيضاً . إنه إعلان الله ، لكن ما أُعلن هو اهتمام الله

بالإنسان . فالله يعلن للإنسان عن نفسه ويظهر له ويكلّمه ، ويكشف له عن المعنى الخفي لوجوده وعن الهدف الأسمى لحياته . إننا نرى الله آتياً ليعلن عن نفسه ونرى الإنسان يلاقيه ويسمع صوته ويجيبه ، أي إننا لا نسمع صوت الله فقط ، بل صوت الإنسان مجيباً بكلام الصلاة والشكر والعبادة والرهبة والمحبة والحزن والندم والتهليل والأمل واليأس . ففي العهد شريكان ، الله والإنسان ، يجتمعان في سرّ اللقاء الإلهي - الإنساني الحقيقي ، الموصوف والمدوَّن في قصة العهد ، حتى إن الإجابة الإنسانية تندمج في سرّ كلمة الله . في الكتاب حوار يشترك فيه الله والإنسان ، لأنه ليس مونولوجاً إلهياً . فهما يتكلمان ، ولكن تكون صلوات كاتب المزامير وتضرعاته ، مع ذلك ، « كلمة الله » . فالله يريد ويتوقع ويطلب هذا الجواب أو الاستجابة من الإنسان ، لأنه يكشف له عن نفسه ويحاوره ويقيم العهد مع أبناء الناس ، من دون أن تعرِّض هذه المودة والألفة تعالي الله للخطر . « فمسكنه نور لا يُقترب منه » (١ تيمو٦ : ١٦) . لكن هذا النور «جاء العالم لينير كلّ إنسان» (يوحنا ١ : ٩) . هذا هو سرّ الإعلان و «غرابته» .

ولأن الإعلان تاريخ للعهد ، فالإعلان المدوَّن - الكتاب المقدَّس - هو قبل كلّ شيء تاريخ . فالشريعة والأنبياء والمزامير والنبوءات أمور محوكة في النسيج التاريخي الحيّ . إن الإعلان الإلهي ليس مجموعة أقوال إلهية وحسب بل هو في الأساس بيان عن الأعمال الإلهية وممرّ الله إلى التاريخ . وهذا الإعلان بلغ أوْجَه عندما تجسَّد كلمة الله وتأنَّس . لكنّ كتاب الإعلان مصنَّف عن المصير الإنساني أيضاً ، لأنه يقص حوادث خلق الإنسان وسقوطه وخلاصه . وبما

أن الكتاب يقصّ تاريخ الخلاص فالإنسان ينتمي عضوياً إلى هذه القصة ، فيظهره لنا الكتاب في طاعته وثورته العنيدة وفي سقوطه ونهوضه . ويتلخَّص المصير الإنساني كلّه في مصير إسرائيل القديم والجديد الذي هو شعب الله المختار . إن لحدث الاختيار أهميَّة بالغة ، لأن شعباً قد اختير وفُرز عن الأمم الأخرى وصار واحة مقدسة وسط الفوضى الإنسانية . فالله أقام عهده مع شعب واحد وأعطاه شريعته المقدسة . ومن هذا الشعب برز كهنوت حقيقي وإنْ كان كهنوتاً مؤقتاً ، ومنه ظهر أنبياء حقيقيون نطقوا بكلمات ملهمَة من روح الله . فكان هذا الشعب مركزاً مقدَّساً وإن كان مركزاً خفيّاً للعالم كلّه ، وواحة حبْتنا بها رحمة الله في عالم ساقط وخاطىء وضال وغير مخلَّص . كل هذه الأمور لا تشكِّل حرف الرسالة الكتابية ، بل قلبها ، فهي لم تكن عملاً بشرياً ، بل أتت من الله . لكنها كانت « من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا » . إن الميزات التي أُعطيت لإسرائيل القديم خضعت لهدف أسمى وهو الخلاص الكوني « لأن الخلاص يجيء من اليهود » (يوحنا ٤ : ٢٢) . كونيٌّ هدف الخلاص ، لكنه يتمّ عن طريق الفرز والاختيار ، عندما يوجِد الله في وسط السقوط والدمار الإنسانيين واحة مقدَّسة . فالكنيسة أيضاً هي واحة مفروزة لكنها غير منفصلة عن العالم ، لأنها ليست ملجأ وحمى فقط ، بل حصن أماميّ وطليعة جيش الله .

في الكتاب المقدس هناك على خط الأحداث الزمنية مركز أو نقطة حاسمة تكوِّن بداءة جديدة ، لكنها لا تقسم المسيرة الى مرحلتين ، بل تزيدها تماسكاً واتحاداً ، حتى إن التمييز بين العهدين ينتمي إلى

وحدة الإعلان الكتابي . يجب أن نميِّز بين العهدين تمييزاً واضحاً دون أن نخلط بينهما ، رغم ارتباطهما العضوي . وهذا الإرتباط لا يقوم فقط على كونهما منهجين ، بل أساساً على شخص يسوع المسيح . إن يسوع المسيح ينتمي إلى العهدين كليهما . فهو يُتمّ التدبير القديم ويكمل « الشريعة والأنبياء » ويدشِّن العهد الجديد ، وبالتالي يكمل العهدين ، أي الكل . هو مركز الكتاب المقدس نفسه لأنه هو البدء (archè) والنهاية (to telos) . هذه الوحدة السرِّية بين البدء والمركز والنهاية تعطي المسيرة الزمنية بشكل غير متوقَّع واقعيتها الأصيلة ومعناها التام ، من دون أن تهدم الحقيقة الوجودية للزمن . فلا يوجد مجرَّد أحداث تعبر ، بل وقائع ومآثر وأمور جديدة تبرز دوماً إلى الوجود : « ها أنا أجعل كلّ شيء جديداً » (رؤيا ٢١ : ٥) .

في النهاية يجب أن نعتبر العهد القديم « كتاباً لميلاد يسوع المسيح ، ابن داود ، ابن إبراهيم » (متى ١ : ١) ، لأنه كان فترة وعود وانتظار وزمن عهود وتنبوءات . فلم يكن الأنبياء وحدهم الذين يتكلَّمون بالنبوءات ، بل الأحداث . كان التاريخ كلّه نبوياً و « نموذجياً » وعلامة نبوية تشير إلى الاكتمال المستقبلي . أمَّا الآن فقد انتهت فترة الانتظار وتحقَّق الوعد وجاء الرب ليقيم مع شعبه إلى الأبد . انتهى تاريخ اللحم والدم وظهر تاريخ الروح : « وأمَّا بيسوع المسيح فوهبنا النعمة والحق » (يوحنا ١ : ١٧) . إنه إكمال للقديم وتحقيق له وليس هدماً . « إن العهد القديم يمتد إلى العهد الجديد » (Vetus Testamentum in Novo patet) . والفعل

«patet » يعني « أُعلن »و « أُكمل » . وهكذا تبقى أسفار العبرانيين مقدَّسة حتى عند إسرائيل المسيح الجديد ، ويجب ألاَّ نتخلَّى عنها أو نهملها ، لأنها ما زالت تروي لنا قصة الخلاص وعظائم الله (Magnalia Dei) ، وتشهد للمسيح . ولذلك يجب أن تُقرأ في الكنيسة ككتاب تاريخ مقدَّس ، من دون أن تتحوّل إلى مجموعة من النصوص الإثباتية والشواهد أو المواقع اللاهوتية (Loci theologie) أو إلى كتاب أمثال وحِكَم . فالنبوءات تحققت والنعمة حلَّت محلّ الشريعة ، لكن لم يزُل أيّ شيء ، لأن «الماضي» في التاريخ المقدَّس لا يعني ما «انقضى» أو «زال» ، بل أساساً ما أُنجز وأُكمل . و « الإكمال » هو المقولة الأساسية في الإعلان الإلهي . فكلّ ما تقدَّس يبقى مكرَّساً إلى الأبد وحاملاً ختم الروح القدس الذي ما زال ينفخ في الكلمات التي أوحى بها . وقد يصح أن نقول إن العهد القديم ليس أكثر من كتاب عندنا وعند الكنيسة ، لأن الإنجيل أخذ مكان الشريعة والأنبياء . أمَّا العهد الجديد فهو أكثر من كتاب ، لأننا ننتمي إليه ، مؤلِّفين شعب الميثاق الجديد . ولذلك نحن نفهم الإعلان في العهد القديم ككلمة الله « ونشهد للروح الذي تكلَّم بواسطة الأنبياء » . لأن الله تكلَّم بواسطة ابنه في العهد الجديد ، ونحن نُدعى لا لأن نسمع فقط ، بل لأن ننظر إليه : « الذي رأيناه وسمعناه نبشِّركم به » (١ يوحنا ١ : ٣) . فنحن نُدعى لأن **نكون** « في المسيح » .

إن ملء الإعلان الإلهي هو يسوع المسيح ، والعهد الجديد هو تاريخٌ كالعهد القديم . فهو التاريخ الإنجيلي عن الكلمة المتجسد

وبدء التاريخ الكنسي ، وهو التنبؤ الإعلاني (apocalyptic) أيضاً . الإنجيل تاريخ **والأحداث التاريخية** هي أساس الإيمان ومصدره وقاعدة الرجاء المسيحي ، لأن العهد الجديد يقوم على وقائع وأحداث وأعمال وليس على تعاليم ووصايا وكلمات فقط . منذ البدء ، في يوم الخمسين ، عندما شهد القديس بطرس ، بصفته شاهد عيان ، على أن ملء الخلاص قد تمَّ بالرب الناهض قائلاً : « ونحن كلُّنا شهود (martyres) على ذلك » (أعمال ٢ : ٣٢) ، كانت للبشارة الرسولية صفة تاريخية أكيدة . وعلى أساس هذا الشاهد التاريخي تقوم الكنيسة . إن للعقائد المسيحية بنية تاريخية أيضاً ، لأنها ترجع دائماً إلى الأحداث والوقائع التي تشكّل التاريخ المقدس . وفي سرّ المسيح « يحلّ ملء الألوهية كلّه حلولاً جسدياً » (كولوسي ٢ : ٩) . هذا السرّ لا يُفهم على الصعيد الأرضي فقط ، لأن له بعداً آخر ، لكنَّ الحدود الأرضية لا تُلغى ، بل تظهر بعض العوامل التاريخية بجلاء في صورة المسيح المقدسة . كان التبشير الرسولي دوماً سرداً لما حصل ، هنا وفي هذه اللحظة (Hic et nunc) ، وما حصل كان جديداً وجوهرياً ، لأن « الكلمة صار بشراً » (يوحنا ١ : ١٤) . فالتجسد والقيامة والصعود هي أحداث تاريخية ، لكنَّها لا تحمل معنى أحداث حياتنا اليومية نفسها ولا تكون على المستوى نفسه . لكنَّها لم تكن أقل تاريخية وواقعية ، لأنها كانت تزخر بالواقعية أكثر من تلك . من الطبيعي ألاَّ نستطيع تأكيدها إلاَّ عن طريق الإيمان . لكن هذا التأكيد لا يبعدها عن إطارها التاريخي . فالإيمان يكتفي بالكشف عن بعد جديد ويفهمنا المعطى التاريخي في عمقه وحقيقته الكاملة . إن

الإنجيليين والرسل لم يكونوا مؤرخين عاديين حتى يوردوا كل أعمال يسوع وأفعاله يوماً فيوماً وسنة فسنة . إنهم دوّنوا سيرة حياته وسردوا أعماله ليقدّموا لنا صورته التاريخية والإلهية بوقت واحد . فهذه الصورة لم تكن صورةً لملامح جسده ، بل أيقونة تاريخية للإله المتجسد. الإيمان لا يخلق قيماً جديدة، بل يكشف عن قِيَمٍ موجودة. إنه نوع من الرؤيا «وتصديق ما لا نراه» (عبرانين ١١ : ١) . (يفسِّر الذهبي الفم لفظة elenchos « التصديق » أو « الإيقان » مثلما يفسِّر لفظة opsis « وجه ») . فما « لا يُرى » لا يقلّ واقعية عمّا «يُرى» ولعلّه أكثر واقعية. «لا يقدر أحد أن يقول إن يسوع رب إلاّ بإلهام من الروح القدس » (١ كور ١٢ : ٣) . أي إننا لا نقدر أن نستوعب عمق المعاني الإنجيلية إلاّ عن طريق الخبرة الروحية . وما يكشفه الإيمان يُعْطى بحقّ . ولأن الأناجيل كُتبت في الكنيسة فهي شهادة الكنيسة ومدوّنات خبرتها وإيمانها ، كما أنها سرد لأحداث تاريخية وشهادة لوقائع حدثت فعلاً في مكان معيَّن وزمن محدَّد . وإذا كنّا نكتشف « بالإيمان » أكثر ممّا نكتشف « بالحواس » فهذا دليل واضح على عدم كفاية الحواس في معرفة الأمور الروحية ، خصوصاً أن ما حدث كان عملاً جبّاراً قام به إلهنا المنقذ ، وتدخلاً إلهياً في مجرى الأحداث التاريخية . لكن يجب ألاّ نفصل بين « الحدث » و « معناه » لأنهما يقدّمان لنا الحقيقة .

بما أن الكنيسة تحفظ الإعلان فهي تفسِّره تفسيراً صحيحاً . ولا شك أن الإعلان يُصان بالكلمات المدوَّنة ، لكنَّ هذه الكلمات لا تستنفد الإعلان كله ، لأن الكلمات البشرية ليست سوى علامات ومدلولات لا تحييها إلاّ شهادة الروح . إننا لا نعني بهذا

إنارة الروح القدس لعدد من البشر في وقت معيَّن ، بل العون الدائم الذي يهبه الروح القدس لكنيسة الله ، « عمود الحق ودعامته » (١ تيمو ٣ : ١٥) . يحتاج الكتاب المقدس إلى تفسير وشرح ، لأن الشيء الجوهري هو رسالة الكتاب لا كلامه . هنا يقوم عمل الكنيسة التي أقامها الله لتشهد دائماً للحقيقة المطلقة وللمعنى الكامل للرسالة ، لأنها تنتمي إلى الإعلان بكونها جسد الرب المتأنس . بل إن نشر الإنجيل والتبشير بكلمة الله ينتميان كلاهما إلى جوهر (esse) الكنيسة التي تعتصم بشهادتها . وما هذه الشهادة رجوعاً إلى الماضي أو تذكراً لأحداث غابرة وحسب ، بل كشف مستمر عن الرسالة المعلنة إلى القديسين والمصونة بالإيمان . فالرسالة تتحقَّق من جديد في حياة الكنيسة حيث يكون المسيح حاضراً كمخلِّص وكرأس لجسده ، مكملاً عمله الخلاصي فيها . ولذلك ، لا يُعلن الخلاص في الكنيسة فقط ، بل يتحقَّق فيها ، لأن التاريخ المقدس ما زال مستمراً وعظائم الله باقية . هذه العظائم (magnalia Dei) لا تقتصر على الماضي ، بل يستمر حضورها ووجودها في حياة الكنيسة وبواسطتها في العالم . الكنيسة جزء لا يتجزأ من رسالة العهد الجديد وهي قسم من الإعلان الإلهي وقصة «المسيح التام» («المسيح التام، رأس وجسد»، totus Christus caput et corpus على حد تعبير أوغسطين) والروح القدس . لكنَّ نهاية (telos) الخلاص لم تبرز إلى حيِّز الوجود بعد . إن خبرة الكنيسة وحدها تُبقي العهد الجديد حيّاً ، لأن تاريخ الكنيسة هو قبل كل شيء تاريخ الخلاص . ولذلك تُعلَن وتُثبَّت حقيقة الكتاب بنمو الجسد الذي هو الكنيسة .

تاريخ ومنهج

يجب أن نقبل مباشرة كون الكتاب المقدس صعباً ومختوماً بسبعة أختام . وكلّما مرَّ الزمان أصبح أكثر صعوبة . ولكنَّ صعوبته لا ترجع إلى أنه مدوَّن « بلغة مجهولة » أو إلى احتوائه « كلمات سرِّية لا يُسمح لنا بتلاوتها » . فبساطته التامة هي حجر عثار لنا ، لأن أسرار الله موضوعة في قوالب الحياة اليومية عند الإنسان العادي ، حتى إن التاريخ كلّه يظهر بشرياً مثلما كان الرب المتجسد .

الكتاب « موحى به » من الله ، فهو كلمته . لكنَّ بحث ماهية الوحي بدقة أمر مستحيل ، لأنه محاط بسر ، بسر مواجهة الله للإنسان . إننا لا نستطيع أن نفهم الطريقة التي سمع بها « قد يسو الله » كلمة سيدهم ، ولا كيفية تعبيرهم اللغوي عمَّا أوحى به الله إليهم . وحتى في عملية تعبيرهم الإنساني كان صوت الله معهم . هذه هي معجزة الكتاب وأسراريته : إنه ظهور كلمة الله مدوَّنة في لغة بشرية . ومهما كانت الطريقة التي نفهم بها الوحي الإلهي فعلينا ألاَّ نغفل عاملاً أساسياً وهو أن الكتاب ينقل إلينا كلمة الله في لغة بشرية . فالله كلَّم الإنسان بالفعل ، وهذا يفترض وجود من يسمع الكلمة ويعيها . ولذلك ترتبط « التشبيهية » (anthropomorphism خلع الصفات الإنسانية على الله) بهذا الأمر ، لأنه لا مجال هنا لانزلاق نحو الضعف البشري ، لأن اللسان البشري لا يفقد خصائصه الطبيعية عندما يصير عربة للإعلان الإلهي . فإذا ما أردنا أن تكون كلمة الله مدوِّية ، فلساننا يجب أن يبقى لساناً بشرياً . إن الإلهام الإلهي لا يمحو العنصر البشري ، بل

لخّصت الكنيسة رسالة الكتاب المقدّس في دساتير إيمانها وفي طرق أخرى ، فأصبح الإيمان المسيحي منهجاً من القناعات والاعتقادات . وفي منهج كهذا تتضح البنية الداخلية للرسالة الأساسية وتظهر كلّ البنود الإيمانية في علاقاتها المتبادلة . إننا نحتاج إلى منهج للإيمان مثلما نحتاج إلى خارطة في أسفارنا ، ونحتاج إلى ربط المنهج العقيدي بالإعلان الإلهي مثلما ترشدنا الخارطة إلى أرض واقعية . ومن الأهمية بمكان أن نلاحظ أن الكنيسة لم تفكّر يوماً في أن منهجها العقيدي يقدر أن يحلّ محلّ الكتاب المقدس . بل آمنت أنه يجب حفظهما جنباً إلى جنب . إذن ، عندنا من جهة عرض عام للرسالة الأساسية في إطار منهجي أو في دستور إيمان ، وعندنا من جهة أخرى كلّ المراجع الخاصة التي تشير إلى مراحل معيّنة من مراحل الإعلان . يمكن القول إنه لدينا **المنهج** والتاريخ .

هنا تظهر لنا مشكلة مُهمة وهي إلى أي مدى نقدر أن نضع التاريخ في قالب منهجي ؟ وكيف نستخدم الكتاب المقدس **إستخداماً لاهوتياً**؟ وكيف نستخدم الشواهد المتعدّدة التي تغطي مئات السنين لرسم شكل واحد؟ يجب أن نتذكر دائماً أن الكتاب واحد ، رغم كونه مجموعة من الأسفار . فحلّ هذه المشكلة يعتمد على فهمنا للتاريخ ورؤيتنا للزمن . والحلّ الأسهل هو محاولة إغفال تعددية الأزمنة وتجاوز الحقبة الزمنية التي وقعت فيها العملية كلّها . هذه التجربة واجهت المسيحية منذ زمن مبكر . فإننا نجدها متأصلة في جذور التفاسير الاستعارية منذ أيام فيلون الإسكندري وبرنابا المنحول (Pseudo-Barnabas) إلى أيام ما بعد الإصلاح

يغيِّر وجهه فقط. فكل « ما يفوق الطبيعة» لا يهدم « ما هو طبيعي » : « ما هو فوق الطبيعة » (hyper physin) لا يعني « ما هو بخلاف الطبيعة » (para physin) . واللغة الإنسانية لا تخون الإعلان الإلهي ولا تقلِّل من شأنه أو تقيِّد قوة كلمة الله . وما دام الإنسان مخلوقاً على صورة الله ومثاله فهو يقدر أن يعبِّر عن كلمة الله بكلماته البشرية بشكل كافٍ وصحيح ، لأن كلمة الله لا تخفت عندما ينطق بها لسان بشري . أمَّا قبول الله مخاطبة الإنسان فقد أكسب الكلمة البشرية قوة وعمقاً جديدين، وأعطاها شكلاً مختلفاً.

وعندما ينفخ الروح في نظام اللغة البشرية يقدر الإنسان أن ينطق بكلام الله وأن يتحدَّث عن العلي، أي يكون «اللاهوت» ممكناً . فاللاهوت (Theologia) هو كلام على الله(Logos peri Theou) . وهو ممكن من خلال الإعلان الإلهي فقط. إنه استجابة بشرية لما تكلَّم به الله أولاً ، وشهادة إنسانية لله الذي كلَّمه ولمن سمع كلمته وحفظها. وهو يدوِّنها ويردِّدها الآن. تبقى طبعاً هذه الاستجابة غير كاملة ، لأن اللاهوت يتكوَّن باستمرار. لكنَّ منطلقه يبقى هو هو : كلمة الله والإعلان. يرجع اللاهوت دائماً إلى الإعلان الإلهي ويشهد له بطرق متعدِّدة: بقوانين الإيمان والعقائد والطقوس والرموز الكنسية. فالكتاب هو بمعنى من المعاني كلمة الله والاستجابة الإنسانية بآن واحد، أي كلمة الله المعبَّر عنها من خلال استجابة الإنسان الإيمانية . لذلك نعثر دائماً على تفاسير بشرية في العرض الكتابي لكلمة الله، لأن هذا العرض يتأثر دوماً بالظروف التي يتكوَّن فيها. فهل يقدر الإنسان أن يفلت من وضعه البشري؟

البروتستانتي ، عند إحياء النزعات الاستعارية . كما واجهت هذه التجربة جميع الصوفيين . لقد نظروا إلى الكتاب كمجموعة من الأمثال المقدَّسة المدوَّنة بأسلوب رمزي خاص . لذلك كانت مهمة التفسير الكشف عن المعاني الخفية والإفصاح عن الكلمة الإلهية التي عُبِّر عنها بأساليب متعدِّدة وأُخفيت تحت حجب مختلفة . أمّا الحقيقة التاريخية والمنظور التاريخي فلا صلة لهما بالأمر . كما أن الملموسية التاريخية عندهم هي إطار تصويري أو خيال شعري ، لأن ما يهمّهم هو المعنى الأبدي . هذه النظرة تحوِّل الكتاب المقدس إلى مصنَّف لأمثال بنّاءة ورموز عظيمة تشير إلى الحقيقة **الأبدية**. أَوليست حقيقة الله هي هي على الدوام وإلى الأبد؟ في هذه الحال يكون البحث في العهد القديم عن شواهد لكل المعتقدات المسيحية البارزة أمراً طبيعياً. فيذوب بذلك كلّ عهد في الآخر وتنطمس ميزاته الخاصة . إن عيوب هذا المنهج التفسيري ومخاطره ظاهرة بوضوح ، لذلك لا تتطلَّب دحضاً مطوَّلاً . أمَّا علاجه فهو تصحيح النظرة التاريخية . فالكتاب **تاريخ** وليس منهجاً إيمانياً ويجب ألاّ يُستعمل «كخلاصة لاهوتية»(Summa Theologiae) . كما أنه ليس تاريخ الإيمان البشري ، بل تاريخ الإعلان الإلهي. لكن المشكلة الأساسية تبقى من غير حلّ وهي : لماذا نحتاج إلى تاريخ ومنهج؟ ولأي سبب حفظتهما الكنيسة معاً ؟ هنا أيضاً الجواب الأسهل هو الأقل إرضاء. وهو أن نزعم بأن الكتاب المقدَّس هو النص الأوحد الذي يعوَّل عليه بالنسبة للإعلان وبأن كلّ ما تبقَّى هو تفسير له فقط علماً أنه لا يمكن أن يكون للتفسير السلطان الذي للنص الأصلي. هناك شيء من الحقيقة في هذا الكلام . لكنَّ

الصعوبة الحقيقية التي نواجهها هي: لماذا لم تبطل المراحل الحديثة في الإعلان المراحل القديمة؟ وهل نحتاج في عهد المسيح إلى الشريعة والأنبياء؟ وهل تظلّ تحتفظ بالسلطان الذي تتمتَّع به الأناجيل وكتابات العهد الجديد الأخرى؟ إنها ما زالت فصولاً أساسية في الكتاب الواحد كما كانت سابقاً، لأنها لم تُدرج في قانون الكتاب المقدَّس كوثائق تاريخية فقط، أو كأسفار تتعلَّق بمراحل تاريخية عابرة. وهذا الشيء يصحّ في العهد القديم خاصة: «فإلى أن جاء يوحنا كان هناك نبوءات الأنبياء وشريعة موسى» (متى ١١: ١٣). إذن، لماذا نحتفظ بالشريعة والأنبياء؟ وما هو الاستخدام الصحيح للعهد القديم في كنيسة المسيح؟

أولاً يجب أن نستخدمه استخداماً تاريخياً إلاَّ أن هذا التاريخ مقدَّس، لأنه ليس تاريخ قناعات بشرية وتطوراتها، بل تاريخ أعمال الله وعظائمه. فأعمال الله هذه ليست تدخلاً إلهياً عشوائياً في الحياة البشرية، بل أعمال متكاملة قادت الشعب المختار إلى هدف الله السامي، أي إلى المسيح. لذلك نرى الأحداث الأولى تنعكس على الأحداث اللاحقة، لأن هناك استمراراً في العمل الإلهي ووحدة في الهدف والقصد. هذا الاستمرار هو أساس المنهج التفسيري الذي يرتكز على دراسة رموز الكتاب (Typology). فالمصطلحات الآبائية كانت وفيرة في هذا المنهج التفسيري. لكن يبقى التمييز بين منهجين تفسيريين واضحاً، لأن الاستعارة (allegory) منهج تفسيري أيضاً. فيه يسعى المفسِّر إلى البحث في النصوص والمقاطع والجمل وحتى الكلمات ليتوصل إلى المعنى

الخفي الذي يوجد فيها ، « وراء الحرف » . أمّا في منهج « دراسة الرموز » فيسعى إلى شرح الأحداث وتفسيرها دون شرح النص نفسه . ولذلك ما كانت منهجاً فيلولوجياً فقط ، بل كانت منهجاً تاريخياً يهدف إلى إبراز التوافق الضمني بين الأحداث في العهدين ، الذي يجب كشفه وتثبيته وتقويمه . إن المفسِّر « الرمزي » لا يسعى إلى بحث الأمور المتشابهة ، لأننا لا نجد لكلّ أحداث العهد القديم «ما يُشبهها» في العهد الجديد ، مع أن بعض الأحداث الأساسية في التدبير القديم كانت صوراً ورموزاً أو «نماذجَ» لأحداث أساسية في العهد الجديد . وكانت نتيجة قصد إلهي لأنها تشير إلى مراحل التدبير الخلاصي الواحد . مارس بولس الرسول نوعاً من هذا التفسير حين قال في غلاطية (٤ : ٢٤) : «في ذلك رمز» (estin allegoroumena Hatina) . هناك غاية واحدة إلهية وراء أفعال الله وقد أُعلنت كلّها في يسوع المسيح . يقول أوغسطين في هذا الصدد : «يجب أن نفتّش عن السرّ في الفعل نفسه ، وليس في الكلمة فقط» (In ipso facto non solum in dicto, mysterium requirere debemus) (العظة ٢ ، ٦ في المزمور ٦٨) . كان المسيح «سرّ» العهد القديم ، لا لأن موسى والأنبياء «تحدّثوا» عنه فقط ، بل لأن مجرى التاريخ المقدس كلّه يتّجه إليه . وبهذا المعنى كان تتمّةً لكلّ النبوءات . ولذلك لا نقدر أن نفهم العهد القديم بدقّة أو أن نكشف عن «أسراره» إلاّ على ضوء المسيح ، وقد كُشفت فعلاً بمجيء «المنتظر» . فالمعنى النبوي الحقيقي للنبوءات لا يُرى بوضوح إلاّ بعد أن تتحقق ، لأن النبوءة التي لم تتحقق تظل مبهمة وغامضة (كما هو الحال في سفر الرؤيا الذي تشير نبوءاته إلى ما سيأتي «في النهاية») . هذا لا يعني إضافة

معنى جديد إلى النص القديم ، فالمعنى موجود فيه ، لكننا لا نراه بوضوح . فمثلاً، عندما نماثل في الكنيسة الخادم المتألم في سفر أشعياء بالمسيح المصلوب، فإننا لا «نطبِّق» رؤية من رؤى العهد القديم على حدث من أحداث العهد الجديد، إنما نوضح معناها الذي لم يكن ممكناً أن يُفهم بوضوح قبل المسيح. فالذي كان أولاً رؤية (أي «توقّعاً أو حدساً») أصبح الآن واقعاً تاريخياً.

نقطة أخرى مهمة وهي أن « الصوَر » في نظر المشتغل بتفسير الاستعارات ليست سوى انعكاسات للنموذج الأصلي الموجود سابقاً أو وصف « لحقيقة » أزلية مجرَّدة ، أي أنها تدلّ على ما يفوق الزمان . أمَّا دراسة الرموز فتتجه إلى المستقبل ، لأن « الرموز » توقعات وتصورات مسبقة لأمور ستحدث في المستقبل . لذلك ، كانت دراسة الرموز منهجاً تاريخياً أكثر منها منهجاً فيلولوجياً، لأنها تفترض وجود حقيقة تاريخية موجَّهة من الله وترتبط بفكرة العهد . فيرتبط الماضي والحاضر والمستقبل بالهدف الإلهي الأوحد الذي هو المسيح . لدراسة الرموز إذن معنى خريستولوجي (أي ذو صلة بالكنيسة أيضاً كونها جسد المسيح وعروسه) . لكن من حيث التطبيق لم يُحفظ التوازن الحقيقي بشكل دقيق . فحتى في الاستخدام الآبائي أُفسدت دراسة الرموز كثيراً بانحرافات استعارية وإضافات خارجية خاصة بالعبادة والوعظ. والمهم انه في تقليد الكنيسة الأولى التعليمي الذي يرتبط بإقامة الأسرار حُفظ هذا التوازن باستمرار. هذا هو تقليد الكنيسة، أمَّا الانحرافات فنعزوها إلى فضول العلماء الشخصية وتخيُّلاتهم . لقد وعت الكنيسة الأمور

تاريخياً، ولذلك قُرىء الكتاب المقدَّس دائماً في الكنائس مع عرض العقيدة (أي المنهج) لكي يذكِّر المؤمنين بالأسس التاريخية لإيمانهم ورجائهم.

يعتقد أوغسطين أن الأنبياء تكلَّموا على الكنيسة بشكل أوضح من كلامهم على المسيح أي ماسيّا (في المزمور ٣٠ ، ٢ وennaratio ٢ ، مجموعة الآباء اللاتين مين ٣٦ ، ٢٤٤). كان هذا بمعنى من المعاني أمراً طبيعياً ، لأن الكنيسة كانت موجودة بادىء ذي بدء . فإسرائيل، شعب الله المختار وشعب الميثاق، كان كنيسة أكثر منه أمَّة « كالأمم » الأخرى . في الكتاب ـ وفيما بعد ـ استعملت اللفظتانta ethne وgentes (الأمم) لتصفا الأمميين أو الوثنيين ، بخلاف الشعب الواحد (أو الأمة) الذي كان أيضاً وأساساً كنيسة الله. إن الشريعة أُعطيت لإسرائيل بوصفه كنيسة كي تشمل الحياة « الروحية » « و«الزمنية» للشعب ، لأن الوصايا الإلهية تضبط الوجود الإنساني كله وتنظِّمه . وبذلك يكون تقسيم الحياة بين ما هو « روحي » وما هو « زمني » تقسيماً لا أساس له . كان إسرائيل جماعة مؤمنين أقامها الله ، متَّحدة بالشريعة الإلهية والإيمان الحقيقي والطقوس المقدسة والسلطة الكهنوتية . هنا نجد كلّ عناصر التحديد التقليدي للكنيسة . لكنَّ التدبير القديم وجد كمالـه في التدبير الجديد، عندما أقام الله عهداً جديداً ورفض إسرائيل القديم لقلة إيمانه . وهذا ما جعله يخسر يوم الرب أو يوم الافتقاد . وأتت كنيسة المسيح لتكون الاستمرار الحقيقي الأوحد للعهد الذي أقامه الله قديماً . (فلنتذكر أن لفظتي « الكنيسة » و « المسيح » هما

من أصل عبري . « الكنيسة » هي qahal و « المسيح » يعني Messiah) . فهي إسرائيل الحقيقي بحسب الروح (Kata Pneuma) . وبهذا المعنى رفض القديس يوستينوس رفضاً قاطعاً الفكرة التي تقول إن العهد القديم هو صلة الوصل بين الكنيسة والمجمع اليهودي. فالعكس هو الصحيح في نظره ، ولذلك يجب أن نرفض الادّعاءات اليهودية من أساسها ، لأن عدم إيمانهم بيسوع المسيح جعل العهد القديم لا ينتمي إليهم ، وجعله ملك الكنيسة وحدها . فلا يحق لأي شخص بعد أن يدّعي الانتماء إلى موسى أو الأنبياء ، إذا لم يكن أولاً مع يسوع المسيح . فالكنيسة هي إسرائيل الجديد والوارث الأوحد للوعود القديمة . في هذا الكلام العنيف الذي صرَّح به هذا المدافع المسيحي القديم نجد مبدأً تفسيرياً ذا أهمية بالغة وهو أننا يجب أن نقرأ العهد القديم ونفسِّره بكونه كتاب الكنيسة وربما يجب أن نضيف الى هذا فنقول انه كتاب عن الكنيسة .

اتُّخذ الحق بدلاً من الشريعة ، لأنها وجدت فيه كمالها . ولهذا أُبطلت الشريعة ولم يبقَ حفظها واجباً على المهتدين حديثاً . فإسرائيل الجديد كان له دستوره الخاص . وصار هذا الجزء من العهد القديم وكأنه مهجور ، لأنه يرتبط أساساً بالوضع التاريخي - لكن لا بمعنى النسبية التاريخية العامة ، بمقدار ما هو بمعنى التدخل الإلهي والعناية الإلهية . فالرب أوجد الوضع الافتدائي الجديد ودشَّنه ، فهو أوْجَدَ وضعاً جديداً في المنظور المقدّس للخلاص . كلّ ما انتمى إلى الحالة السابقة فَقَدَ معناه ، وإذا ما احتفظ بهذا المعنى فكسابق تصوّر فقط. حتى إننا لا نستثني الوصايا العشر من هذه

القاعدة لأن «الوصية الجديدة» قد نسختها. والآن يجب أن نستخدم العهد القديم من خلال علاقته بالكنيسة فقط. ففي التدبير القديم اقتصرت الكنيسة على أمَّة واحدة. أمَّا في التدبير الجديد فأُبطلت الفوارق القومية وزال التفريق بين اليوناني واليهودي وصار الجميع واحداً في المسيح الواحد. وبكلام آخر، لا يجوز أن نُبعد بعض أجزاء العهد القديم التي تتعلَّق بحياة الكنيسة، ولكن لا يحق لنا في الوقت ذاته أن نجعل منها نماذج كتابية لحياة الشعوب الزمنية. فإسرائيل القديم كان كنيسة مؤقتة، لكنه لم يكن نموذجاً للأمم. طبعاً، إننا نقدر أن نتعلَّم الشيء الكثير من الكتاب المقدس عن العدالة الاجتماعية التي كانت جزءاً من رسالة الملكوت الآتي، وعن التنظيم السياسي والاجتماعي والاقتصادي عند اليهود عبر العصور. وقد تكون هذه الأمور عوناً لنا في مناقشاتنا الاجتماعية. لكن لا يجوز أن نجد في الكتاب المقدس وخاصة العهد القديم نموذجاً مثالياً ودائماً للتنظيم السياسي والاقتصادي في عصرنا هذا أو في أي عصر آخر. ولعلَّنا نتعلَّم أموراً كثيرة من التاريخ العبري، لكنها تبقى درساً تاريخياً، وليس درساً لاهوتياً، لأن الكتاب ليس مرجعاً للعلم الاجتماعي أو العلم الفلكي. فالدرس الاجتماعي الأوحد الذي نأخذه منه هو حقيقة الكنيسة التي هي جسد المسيح. لذلك لن نقول إن الاستناد إلى الكتاب في الأمور «الدنيوية» هو «شاهد كتابيّ»، لأن «الشواهد الكتابية» هي في الأمور اللاهوتية فقط. هذا لا يعني عدم وجود توجيهات وإرشادات في الكتاب، لأنَّ بحثاً من هذا النوع لا يمكن أن يُعتبر «استعمالاً لاهوتياً» للكتاب المقدس. ولعلَّ أمثولات التاريخ العبري القديم لا تفوق أمثولات الشعوب

الأخرى. إذن، يجب أن نميِّز بكثير من الانتباه، الوقتي (المرتبط بحالة معيَّنة) عن الدائم في الميثاق القديم (وعلينا قبل كل شيء أن نتجاوز حدوده القومية)، وإلاَّ فإننا نقع في خطر إغفال ما هو جديد في الميثاق الجديد. وعلينا في العهد الجديد أن نميِّز بوضوح الوجهين التاريخي والنبوي، لأن موضوع الكتاب الرئيسي هو المسيح وكنيسته، وليس الأمم والمجتمعات ولا السماء والأرض. كان إسرائيل القديم رمزاً للجديد الذي هو الكنيسة الجامعة، وليس رمزاً لأي أمة معيَّنة. فشمولية الخلاص ألغت الإطار القومي لكنيسة العهد القديم. وصارت هناك بعد المسيح «أمة» واحدة، الأمة المسيحية (genus christianum) - وبتعبير قديم «أمة ثالثة» (tertium genus) - أي الكنيسة شعب الله الأوحد. وكل وصف قومي آخر لن يجد ضمانة كتابية له. فالفروقات القومية تنتمي إلى نظام الطبيعة، لكنها لا تتعلق بنظام النعمة.

الكتاب المقدس كامل وتام، لكنَّ التاريخ المقدس لم يكتمل بعد. فقانون الكتاب يحوي سفر الرؤيا النبوي، وهذا دليل على أن هناك ملكوتاً سيأتي واكتمالاً سيتحقَّق. ففي العهد الجديد إذاً نبوءات، كما في العهد القديم، بل ان كيان الكنيسة كلَّه نبوي بمعنى من المعاني، لكنَّ للمستقبل معنى مختلفاً «بعد مولد المسيح» (post Christum natum). إن التوتر بين الحاضر والمستقبل يأخذ في كنيسة المسيح معنى وصفة غير اللذين اتخذهما في التدبير القديم لأن المسيح لا ينتمي إلى المستقبل فقط، بل إلى الماضي أيضاً وبالتالي إلى الحاضر. هذا المنظور الانقضائي له أهمية بالغة لفهم

الكتـاب بشـكل صحيح . بل يجـب أن نفحص كل « مبـادىء » التفسير و«قوانينه» من خلال هذا المنظور . لكن علينا أن نتجنَّب خطرين كبيرين :

أولاً : إننا لا نقدر أن نقول بوجود تشابه دقيق بين العهدين ، لأن « الوضع الميثاقي » الجديد يختلف جذرياً عن القديم ، فصلة الواحد بالآخر كصلة « الصورة » بـ«الحقيقة» . والفكرة التي تسود الشرح الكتابي عند الآباء تدور حول كون كلمـة الله تكشف عن نفسهـا باستمرار وبمختلف الوسائل في العهد القديم بمجمله. لكن يجـب ألاَّ نضـع هذه **الظهورات الإلهية** (theophanies) على مستـوى تجسـد الكلمـة وحجمـه ، خوفـاً من أن يتحـوَّل حدث الخلاص العظيم إلى ظل استعاري . « فالرمز » ليس سوى « ظل » أو صورة . ففي العهد الجديد نجد الفعل نفسه ، لأنـه أكثـر من « صورة » عن الملكوت الآتي . فهو في جوهره حقل للإنجـازات الإلهية .

ثانياً : من السابق لأوانه أن نتحدَّث عن « الانقضائية المحقَّقة » (realized eschatology) . فالانقضـاء (eschaton) لم يأت بعـد والتـاريخ المقـدَّس لم ينتـه إلى الآن . لذلك نفضِّـل عبـارة « الانقضـائية المدشَّنـة » (inaugurated eschatology) ، لأنهـا تصف بكل دقة تحليل الكتاب المقدس، ألا وهو أن الحدث الحاسم في الإعلان الإلهي وقع في الماضي . « الحاسم » (أو « الجديد ») قد دخل التاريخ ، وإن كانت المرحلة الأخيرة لم تحدث . في العهـد

الجديد ما عدنا في عالم الرموز ، بل في عالم الحقيقة ، ولكن تحت علامة الصليب . الملكوت دُشِّن ، لكنه لم يتحقق كلياً . إن قانون الكتاب الثابت نفسه يرمز إلى إنجاز . فالكتاب المقدس أُغلق ، لأن كلمة الله تجسَّد ، وأصبح مرجعنا شخصاً حيّاً وليس كتاباً . مع هذا يحتفظ الكتاب المقدس بسلطانه ليس فقط كمصنَّف عن الأحداث الماضية ، بل كمؤلف نبوي مليء بالإشارات إلى المستقبل والنهاية .

ما زال تاريخ الفداء المقدس مستمراً حتى يومنا الحاضر ، لأنه تاريخ الكنيسة التي هي جسد المسيح . والروح ـ المعزِّي يقيم فيها دائماً . لكننا لا نقدر أن نجد منهجاً كاملاً للإيمان المسيحي ، لأن الكنيسة ما زالت في محجتها . أمَّا الكتاب فقد احتفظت به الكنيسة كمصنَّف تاريخي يذكِّر المؤمنين بطبيعة الإعلان الإلهي الفاعل « مرَّات كثيرة وبمختلف الوسائل » (عبر ١ : ١) .